

دراسة اللغة العربية و آدابها في بلغاريا

د. بيان ريحانوف /جامعة صوفيا، بلغاريا/

إن أهمية دراسة اللغة العربية و آدابها قد ازدادت خصوصا في نهايات القرن العشرين و مع بدايات القرن الحادي و العشرين و ذلك تحت تأثير العولمة التي تمثل عملية التكامل و التوحيد العالمي على المستويات الاقتصادية و السياسية و التكنولوجية و الثقافية. و على هذا فان العولمة لا تشمل شتى نواحي الحياة العصرية فحسب، بل انها تؤثر تقريبا في كل مجالاتها ايضا. و في هذه الظروف فان للاستشراق و للمستشرقين انفسهم دور مهم في حوار الحضارات المختلفة، التي تتأثر بالعولمة بكل تأكيد.

و في العقود الاخيرة ظهرت دراسات علمية كثيرة بقلم المتخصصين باللغة العربية و آدابها في كل من امريكا الشمالية و الجنوبية و اوربا الغربية و الشرقية، و كذلك ايضا في بلغاريا، حيث يتطور اختصاص اللغة العربية و آدابها هنا منذ اكثر من اربعين عاما. و في مقالتنا هذه نهدف ان نسلط الضوء على بعض المسائل المختصة بدراسة اللغة العربية و آدابها في جامعة صوفيا التي تعتبر اقدم جامعة بلغارية و تلعب دورا مركزيا في نظام التعليم العالي في البلاد.

و نشير الى ان البرنامج العلمي لاختصاص اللغة العربية و آدابها في جامعة صوفيا يرتكز على مستويات ثلاثة، هي:

- "بكالوريوس" يستغرق مدة اربعة عوام او ثماني دورات دراسية،
- و "ماجستير" يستمر مدة سنة و نصف او ثلاث دورات دراسية،
- و اخيرا "دكتوراة" تدوم ثلاثة عوام او ست دورات دراسية.

اما العدد العام للطلبة الذين يدرسون اللغة العربية و آدابها في جامعة صوفيا فهو ليس بالعدد الكبير و يختلف من سنة الى اخرى. و مع ذلك يسجل سنويا في كل دورة دراسية اولى حوالي ثلاثون طالبا تقريبا. و خلال الاعوام الاربعة المتتالية فان عدد الطلاب المقبولين في البرنامج يهبط بصورة تدريجية، و ذلك نتيجة فشلهم في الامتحانات و كذلك

نتيجة صعوبات اخرى، فيما ينجح حوالي نصف هذا العدد فقط في الحصول على درجة البكالوريوس.

اما جوهر البرنامج التعليمي نفسه فيتعرف فيه طلاب قسم الدراسات العربية على الكثير من مواد العلوم الاساسية و التطبيقية التي تختص باللغة العربية و آدابها، و من اهمها: علم الصوتيات بفروعه المختلفة و علم التراكيب الصوتية و علم الصرف و النحو و علم المعاني و غيرها. و تهدف البرامج التدريبية المختلفة الى تطوير مهارات الطلبة اللغوية التي تحتوي على اربع انواع من العناصر، هي محادثة و قراءة و استماع و كتابة. و علاوة على ذلك تركز الأنشطة التعليمية بشكل رئيسي على الدروس النظرية و التمارين العملية التي يقوم الطلاب بها كتابيا و شفاهيا. و من بين الانشطة المتنوعة التي تساعد على تكوين و نمو مهاراتهم اللغوية مكان خاص للترجمة من/الى اللغة العربية و لنظرية الترجمة نفسها ايضا.

رغم ان عملية الترجمة بحد ذاتها هي قديمة قدم الامم، الا انها تخضع لمقاييس علمية بدأت منذ اواسط القرن العشرين. فاننا نرى ان تطور علم الترجمة الدينامكي هو نتيجة ازدهار علم اللسانيات البنيوية و اللسانيات المقارنة و علم الدلالات و السيميائية و اللغويات الاجتماعية و اللغويات النفسية و غيرها. و علاوة على ذلك نشير الى إنجازات اللسانيات البنيوية المتعلقة باكتشاف تركيب المضمون و وصفه، و كذلك نجاحات علم الدلالات المتصلة بدراسة التعبير اللغوي و إدخال بعض النظريات المختصة بالحقول الدلالية و التراكيب الدلالية و السطحية.

و مع ذلك تميزت المحاولات الاولى لانشاء نظرية الترجمة بالخاصية اللغوية التي تحتوي عليها الدراسات العديدة، منها: "الاسلوبية المقارنة للفرنسية و الانجليزية" بقلم الباحثين الفرنسيين "فيني" /J. Vinay/ و "دربلني" /J. Darbelnet/¹، و "مدخل الى نظرية الترجمة" بقلم الدارس الروسي "فيدوروف" /A. Fedorov/². و أحدثت افكاره آنذاك ضجة كبيرة بين هؤلاء المترجمين الروس الذين اعترضوا عليها و أكدوا أن الترجمة هي العمل الابداعي و خصوصا ترجمة النماذج الادبية التي تحتوي على الاجناس و الالوان

المختلفة، و بذلك تتحول الى فن من الفنون. و بكلمة اخرى انهم كانوا خائفين على ان نظرية الترجمة ستحدد حرية المترجم الابداعية بقيود الشكلية و قواعد المطابقات الطبيعية. بيد ان نظرية الترجمة تطورت بمرور الوقت على نطاق واسع، و لم يثر جوهرها اللغوي نقاشا من بعد. و في الستينيات و السبعينيات من القرن الماضي ظهرت اتجاهات و مذاهب بفضل جهود الرواد لنظرية الترجمة، منهم: "فلاخوف" /S. Vlahov/ من بلغاريا و "جاكوبسون" /R. Jakobson/ من امريكا و "كتفورد" /J.G. Catford/ من انجلترا و "كادي" /O. Kade/ من المانيا و "مونين" /G. Mounin/ من فرنسا و غيرهم الذين استوحى من دراساتهم الاكاديمية الاجيال التالية من الباحثين المهتمين بنظرية "الترجمة الخاصة".

و بين البحوث الاصلية التي تناولت قضايا هذه الترجمة نذكر "الترجمة و عملية الترجمة. نظرية و ممارسة" /1995/ بقلم "روجير بيل" /Roger Bell/³ و "كتاب تدريس الترجمة" /1995/ بقلم "بيتر نيو ماك" /Peter Newmark/⁴ و كذلك "القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية" /1996/ بقلم الاستاذ السوري عبده عبود و "أسس الترجمة من الانجليزية الى العربية و بالعكس" /2005/ بقلم الاستاذ المصري عز الدين محمد نجيب و "كتاب تدريس الترجمة. تضمينات النظرية و الممارسة" /2006/ بقلم الاستاذ الاماراتي سيد شياب الذي كتبه بالانجليزية⁵.

و نشير الى اعمال الدارسين الروس الذين اظهروا مفاهيمهم الخاصة لمادة علم الترجمة. و بينهم "فيدوروف" /A. Fedorov/ الذي يعد مؤسس النظرية اللغوية للترجمة في روسيا. و برأيه ان موضوع هذا العلم هو النص المترجم الذي يفهمه كنتيجة لعملية الترجمة. و بذلك يحتل تحليل مطابقات عناصر اللغتين مرتبة اولى في دراساته. و يختلف عنه ممثلو الاتجاه اللغوي التركيبي "ريفزين" /I. Revzin/ و "روزينتسيغ" /V. Rozentsveig/ و "برخودروف" /L. Barkhudarov/ الذين يعتبرون أن موضوع نظرية الترجمة هو عملية الترجمة نفسها، و من خلال هذه العملية ينتقل نظام العلامات من لغة الى أخرى⁶. و خلافا لهم يؤكد "شفيتسر" /A. Schweitzer/ و "كوميسروف" /V.

Komissarov / و "ريتسكر" /I. Retsker/ ان موضوع نظرية الترجمة يشتمل على عملية الترجمة و نتيجتها ايضا.

فان التفاوت في آرائهم بالنسبة لموضوع نظرية الترجمة قد سبب ظهور التصنيفات المختلفة لفروع نظرية الترجمة. و مثلا، نرى ان "فيدوروف" /A. Fedorov/ يشير إلى ثلاثة فروع و هي:

- فرع متصل بالبحث عن تاريخ الترجمة و مذاهبها،
- و فرع متعلق بنظرية الترجمة العامة التي تحتوي على نظام العموميات الملائمة لنقل النصوص المختلفة الى اللغات المختلفة،
- و فرع مرتبط بنظريات الترجمة الخاصة من اللغة المعينة الى اللغة المعينة الاخرى و كذلك بترجمة الانواع المختلفة للنصوص⁷.
- و في نفس الوقت يميز "شفيتسر" /A. Schweitzer/⁸ و "ريتسكر" /I. Retsker/⁹ و "ليفى" /I. Levy/¹⁰ نظرية الترجمة العامة من نظرية الترجمة الخاصة، بيد أنهم يحصرون مادة نظرية الترجمة الخاصة على بحث الصفات المميزة لانواع الترجمة. و يختلف عنهم موقف "كوميسروف" /V. Komissarov/ اختلافا كبيرا. فانه يقدم اربعة فروع لنظرية الترجمة¹¹. و من اهمها:
- نظرية الترجمة العامة التي تشرخ المبادئ الاساسية للنقل على اساس نموذج الترجمة،
- و نظرية التساوي المتعلقة بالبحث عن جوهر و انواع التساويات.
- و علاوة على ذلك فانها تدرس نظام العلاقات المعنوية بين مكونات النص المكتوب ب"اللغة المصدر" و النص المكتوب ب"اللغة الهدف"، او بكلمة اخرى، تبحث عن العلاقات بين النص الاصلي و النص المترجم. و من بين الفروع الاخرى لنظرية الترجمة:
- نظرية عملية الترجمة التي تتحدد بعملية انشاء النص ب"اللغة الهدف"،

• و نظرية المطابقات المختصة بدراسة نظام المطابقات بين وحدات /عناصر/
اللغتين المعينتين.

و نلاحظ ان طلبة قسم الدراسات العربية بجامعة صوفيا يدرسون نظرية الترجمة العامة من ناحية، و من ناحية اخرى نظرية الترجمة الخاصة كنوع من انواع النشاط اللفظي لان خاصية هذه الترجمة تنحصر بتعبير افكار الشخص الاخر او المؤلف الاخر الذي كتب "النص المصدر" و ليست بتعبير افكار المترجم الشخصية. و المهم انه وسيط لا يلبي حاجات نفسه، بل انه يحقق بواسطة نقله حاجات الاخرين العقلية خلال اتصالاتهم بعضا ببعض. و بذلك تشجع جهود الطلاب ليصوغوا افكارهم باللغة المصدر اي باللغة العربية.

و في حياتنا اليومية نلتقي اشخاصا يتكلمون لغة اجنبية واحدة او اكثر، و في نفس الوقت لا يملكون مواهب لممارسة الترجمة. و انطلاقا من ضرورة دراسة الترجمة كنوع خاص للنشاط اللفظي، يمارس الطلاب اللونين الاساسيين للترجمة التي تحتوي على الترجمة الكتابية و الترجمة الشفاهية. و علاوة على ذلك يدرسون انواع الترجمات الاخرى، و بينها: الترجمة الكتابية الكاملة التي يستخدم الطالب خلالها اللغتين /العربية و البلغارية/ في شكلها الكتابي تاما، و الترجمة الشفاهية الكاملة التي يستخدم الطالب خلالها كلا اللغتين في شكلها الشفاهي.

و نشير الى الترجمة المتتابة من بين انواع الترجمات الشفاهية. و في عمليتها يستمع الطالب الى جملة واحدة او اكثر من الجمل التي ينطقها الاستاذ /المحدث/ باللغة العربية و بعد ذلك يكررها الطالب بالبلغارية. و من اجل تحقيق الترجمة الناجحة يحتاج الطالب الى تدريب خاص للذاكرة السمعية و الارتكاس السريع و كذلك الى اكتساب الخبرة بكتابة بعض اجزاء النص الذي يترجمه. و النوع الاخر للترجمات الشفاهية هو الترجمة الفورية التي تجري خلال لفظ النص الاصلي من قبل المدرس. و في عملية هذه الترجمة يستمع الطالب الى النص الشفاهي و يترجمه و يلفظه في آن واحد. و بذلك ليست له امكانية للتعرف على قرينة الكلام الواسعة.

و بالإضافة الى هذين النوعين الاساسيين من الترجمة نشير الى النوعين المختلطين، و بينهما الترجمة الشفاهية للنص المكتوب. و تتميز عمليتها بان الطالب يقرأ نصا اصليا بالعربية و يترجمه الى البلغارية في الوقت نفسه. و بإمكانه ان ينقل من العربية الى البلغارية بعد ان يقرأ النص باكملة مرةً و باجزائه مرةً اخرى. و يمارس الطلبة الترجمة الكتابية من النص الشفاهي ايضا. و تتميز عمليتها بان الاستاذ يقرأ نصا بالعربية و ينقله الطلاب الى البلغارية كتابيا بالفور. و هذه هي انواع الترجمات التي يقوم الطلبة بها. و اما الوان الترجمات فيترجمون نصوصا تحتوي على المجالات العلمية و التكنيكية والسياسية و الاجتماعية و الادبية، و لذلك يستخدمون كتباً و مقالات منشورة في البلاد العربية و كذلك مصادر إلكترونية.

و نلاحظ انه في معظم الحالات لا يستطيع الطلاب ان يفهموا معنى الجملة او النص كله بدون معرفة المعلومات الاضافية التي لا علاقة مباشرة لها بالظواهر اللغوية. فان الترجمة لا تربط النظامين اللغويين فقط، بل الثقافتين المختلفتين ايضا. و بذلك يدرس الطلبة مواد علمية مختلفة، و بينها: القرآن الكريم و الجغرافيا و التاريخ و السياسة و الثقافة العربية. و علاوة على ذلك يستمعون الى المحاضرات عن الآداب العربية من اقدم العصور الى يومنا هذا. و برأينا ان الآداب العربية الحديثة تشكل وحدة الآداب المختلفة المتطورة بشكل مستقل، و لكل من هذه الآداب خصائصه المميزة له.

و بذلك يدرس الطلبة الآداب العربية جميعها في اطار النظام الفني الموحد. و على اساس المواد الغزيرة تظهر الطرق و الاتجاهات الرئيسية في تطور العملية الادبية في البلدان العربية منذ مرحلة النهضة. و نلفت نظرنا الخاص الى دراسة النماذج الادبية المنشورة في العقود الاخيرة و الزاخرة بتنوع المواضيع و الالوان. و لتحقيق الهدف الدراسي يقوم الطلبة بترجمة النصوص الادبية المكتوبة بقلم القصاصين و الشعراء المعروفين في وطنهم و خارجه. و تساعد على عملية الترجمة هذه معرفتهم بصفات ابداع المؤلفين و افكارهم الادبية و السياسية و الجمالية.

و هذه هي الترجمة الدراسية، و اما الترجمة الاحترافية فيتعرف القراء البلغار على الآداب العربية منذ القرن التاسع عشر، عندما صدر عدد من الاجزاء لمجموعة "الف ليلة و ليلة" التي ترجمت من الاغريقية و الروسية و ليست من اللغة الاصلية. فان الترجمات الادبية من العربية ازدهرت في العقود الثلاثة الاخيرة على ايدي المترجمين الذين تخرجوا من قسم الدراسات العربية بجامعة صوفيا او من جامعات في البلدان العربية. و نذكر ان مطبعة "الثقافة الشعبية"، التي كانت مطبعة حكومية، لعبت آنذاك دورا بارزا في تعميم الادب العربي بين الجمهور.

و من المعروف انه منذ نهاية الثمانيات من القرن الماضي دخلت بلغاريا مرحلة تطورها الجديدة، و قامت بالاصلاحات العديدة التي اثرت على حركة الترجمة فيها بشكل مؤكد، و ادت الى تغيرات متصلة بكمية الترجمات و نوعيتها و بطروف اصدارها. فان الترجمة اصبحت شأنا للمترجمين انفسهم، و ليست عناية او سياسة ثقافية هامة للحكومة. و رغم ذلك في السنوات الاخيرة ظهر عدد من الترجمات الادبية من العربية الى البلغارية بقلم المترجمين المتحمسين. و من بين هذه الترجمات اعمال ادبية بقلم سليمان الشاطي و ليلى العثمان من الكويت، و جوخة الحارثي من عمان و هدى النعيمي من قطر و امين يوسف عودة من الاردن و سلوى بكر من مصر و غيرهم. و علاوة على ذلك ترجمنا المختارات التي تحتوي على ثلاثين قصة بقلم الادباء السوريين. و صدر هذا الكتاب بمساعدة مطبعة "جامعة صوفيا". و في عملية جمع و اختيار هذه القصص و ترجمتها كنا نهتم بقيمتها الفنية و الانسانية و دورها في تطور الادب العربي المعاصر، و لم نفكر عن صعوبات طباعتها التي جاءت فيما بعد.

و في نهاية مقالتنا نشير الى ان اهتمام الشباب البلغار بالغة العربية و ثقافتها يزداد من سنة الى اخرى. و يختار اغلب الطلبة من قسم الدراسات العربية اختصاص "الترجمة" بين اختصاصاته الاخرى. و يعلل اختيارهم هذا بتعزز العلاقات الدولية و السياحية و تقنية المعلومات و تكامل العلوم و كذلك بدخول الشركات البلغارية الى اقتصاد السوق، حيث حول المترجم الى وسيط فعال خصوصا في تلك المجتمعات التي تتطور

اقتصاداتها في مناطق نفوذ القادة العالمية، فانه يلعب دوره بمثابة حلقة الاتصال في النظام العالمي للعولمة. و بذلك تتبوأ مهنة المترجم مركز الصدارة في الاعوام الاخيرة.

المصادر

- ¹ فيني، ج. و دربلني، ج. : *الاسلوبية المقارنة للفرنسية و الانجليزية*، باريس، 1958 (Vinay J. & Darbelnet J.: *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. Paris, 1958)
- ² فيودوف، أ. : *مدخل الى نظرية الترجمة*. موسكو، 1958 (Fedorov, A.: *Introduction to translation theory*. Moscow, 1958)
- ³ روجير، ب. : *الترجمة و عملية الترجمة. نظرية و ممارسة*. لندن، 1995 (Bell, R. T.: *Translation and Translating. Theory and practice*. London, 1995)
- ⁴ نيو ماك، ب. : *كتاب تدريس الترجمة*. نيو يورك، 1995 (Newmark, P. A *Textbook of Translation*. New York, 1995)
- ⁵ شيايب، م. س. : *كتاب تدريس الترجمة. تضمينات النظرية و الممارسة*. انتويرب- ابلدورن، 2006 (Shiyab, M. S.: *A textbook of translation. Theoretical and practical implications*. Antwerp-Apeldoorn, 2006)
- ⁶ برحودروف، ل. : *لغة و ترجمة. مسائل نظريات الترجمة العامة و الخاصة*. موسكو، 1975، ص. 6 (Barkhudarov, L.: *Language and translation. General translation theory and special translation theories' problems*. Moscow, 1975, p. 6)
- ⁷ فيدوروف، أ. : *مدخل الى نظرية الترجمة*. موسكو، 1958، ص. 20-21
- ⁸ شفيتسر، أ. : *ترجمة و علم اللغة*. موسكو، 1973، ص. 16 (Schweitzer, A.: *Translation and linguistics*. Moscow, 1973, p. 16)
- ⁹ ريتسك، إ. : *نظرية و عملية الترجمة. دراسات نظرية الترجمة اللغوية*. موسكو، 1974، ص. 42 (Retsker, I.: *Translation theory and translation practice. Essays on a linguistic theory of translation*. Moscow, 1974, p. 42)
- ¹⁰ ليفي، إ. : *فن الترجمة*. موسكو، 1974، ص. 33 (Levy, I.: *The arts of translation*. Moscow, 1974, p. 44)
- ¹¹ كوميسروف، ف. : *مسائل التحليل اللغوي للنص*. موسكو، 1973، ص. 20-29 (Komissarov, V.: *Problems of linguistic analysis of the text*. Moscow, 1973, pp. 20-29)